

جحرهرة



الملك والملكوت

الملكوت الحثيث

تأليف: علاء الدين طيعة

دار الدعوة

سلسلة
مغامرات مؤمن



جوهرة
الادغال المتوحشة

حقوق الطبع محفوظة للناسر

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع القانوني

١٩٩٦/٥٩٤٣

الترقيم الدولي: 8-103-253-977

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المفاامرات إلى عمل سينمائي
أو تليفزيوني أو إذاعي أو مسرحي أو شرائط فيديو
إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناسر.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٢ ش منشأ - محرم بك - الاسكندرية

☎ ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٠١٦٩٥

جوهرة الأدغال المتوحشة

تألف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسرى حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« سلسلة مغامرات مؤمن »

قمة الفرخ أن يعثر الإنسان علي تاج أثري عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هي قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور علي جواهر هذا التاج ، إنه يسافر في رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفي كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلي التاج .

علاء الدين طعيمة

جوهرة الأدغال المتوحشة

«يجب أن تتعلم كيف تعيش هناك وكيف تجد الماء والطعام، وكيف توقد النار، ومن المهم جداً الاستعداد لمواجهة أى طارئ، إن الأدغال ليست على وئام مع الإنسان، كن يقظاً دائماً .. تفحص الأرض أمامك بكل عناية، وتجنب التسرع .. وإياك أن تحاول التنقل فى الأدغال ليلاً .. إن الحياة هناك شبه مستحيلة ... الله معك يا بنى»

كانت هذه هى الكلمات التى كان يتذكرها مؤمن وهو جالس على متن القارب الكبير المتجه إلى الأحراش الهندية، وقد لاحت من بعيد هذه الأدغال المربعة .. تذكر هذه الكلمات التى قالها له الصياد الرحالة الذى كان يجوب العالم . ومر بالقاهرة، فسأله، عندما التقيا عند مستنقع البوص ... حيث كان الصياد يتطلع إلى صيد البط المصرى الأخضر ..

وكان مؤمن قد بُتَّتْ الجوهرة الرابعة فى التاج،
فظهرت عليه عبارة تدل على الجوهرة الخامسة
وكانت تقول:

«إنها فى أدغال الهند» ولهذا فهو الآن بعد
نصيحة الصياد يستقبل أدغال الهند بين خوف
وشوق، ويذكر كلمات الصياد بين الحين والآخر،
فهى كل ما لديه من معلومات عن هذه المناطق
الغريبة

الجو ينزع إلى شتاء لم يتعوده الغلام المصري،
فالسما ملبدة بغيوم مستديمة لا أمل على الإطلاق
فى انقشاعها، علا صوت قبطان القارب يأمر البحارة
بالرسو على جانب النهر للتزود بالوقود من حطب
جاف، ونزل مؤمن من القارب وقرر أن يستأنف
الرحلة على قدميه، فلقد أصبح فى أعماق
الأدغال، وعليه أن يستكشف المكان بنفسه، وما

زالت كلمات الصيد تتردد في ذهنه:

«المهم جداً الاستعداد لمواجهة أى طارئ».

لم يشعر بالخوف المميت إلا بعد أن رفع البحارة
مرسى السفينة الصغيرة ، وألقوا عليه كلمات
الوداع، ثم اختفى القارب وراء غيوم الأفق الأسود،
واستقبلته الأدغال بأصوات لا حصر لها، فأدرك أن
الغابات معمورة بملايين المخلوقات التى لا يعرف
عنها أى شئ.

وأخذ يتأمل أمامه للأدغال الشاسعة كالبحر
الأخضر اللانهائي.. الأشجار الكثيفة الكبيرة
العمر، المتشابهة فى الشكل واللون والتكوين،
والغابات محمولة بعضها فوق بعض، فهناك أشجار
تحمل جذور أشجار أخرى قد نمت فوقها .. وقف
ينظر إلى سيقان خشبية يبلغ سمكها قدمين وطولها
أكثر من ستين قدماً، وتشابك من أعلى لتصنع قمماً

شجرية . فأصبحت الخضرة الكثيفة أشبه بنسيج
عنكبوت ضخم، وأول ما شاهده من دواب
الأرض . . هذه الجماعات من النمل والعقارب
وذوات المائة رجل التى كانت تستظل تحت هذه
الأشجار .

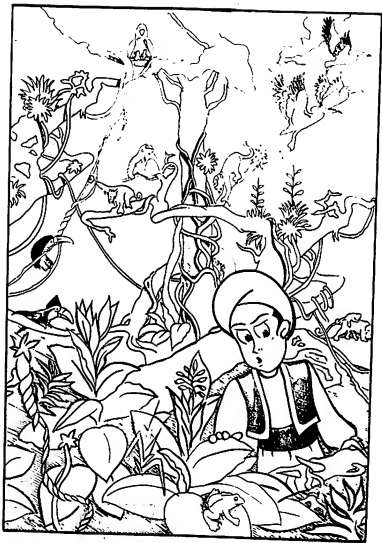
وهكذا فلقد اعتاد هذه الأمطار التى لن تكف أبداً
عن الهطول، ولم يشعر بأن ملابسه قد ابتلت بما فيه
الكفاية؛

وسار قليلاً يتخوض بين الآكام العريضة، يتلفت
بين الحين والآخر نحو صوت زئير هنا أو صراخ
طائر هناك . . وزادت التفاتاته، وأخذ يدور حول
نفسه، وروعته أشجار الليانا المتسلقة التى تتعلق
جذورها بالشقوق التى فى أغصان الأشجار الأخرى،
وتلتف مثل الثعابين الضخمة وتتشابك فروعها، ولم
يكن هناك أى أثر يدل على أن إنساناً ما قد وطأ هذه

الأرض من قبل .

وأدرك مؤمن أن هذه المغامرة من أشق وأصعب بل وأخطر مغامراته، وأحس أن هذه الجوهرة تحتاج إلى براعة و شجاعة وجسارة منقطعة النظير . . ورغم ذلك فلقد سكن الخوف قلبه الصغير .

كان النهار فى أوله حينما كان يجوب الأدغال يسير بلا هدى . . كل ما يعرفه هو أن الجوهرة تسكن قلب هذه الأدغال . تذكر والدته، وأخذة الحنين إلى حنانها ونظرة عينيها الحانية الجميلة ، وتذكر شفيتها العذبتين وهى تدعو له فى كل وقت، واشتاق لوجهها الصبوح، وكادت أن تأخذه الأشجان للبكاء، وبينما هو كذلك سمع صوت آهات شديدة استطاع أن يميزها من بين الأصوات الأخرى التى كانت تذخر بها الغابة من صراخ وزئير وصفير والحنان لا تصمت . . وأحس أن هناك إنسان فى



مأزق ويتأوه، فوقف من فوره ينظر حوله وتمنى لو أن الضجيج والصخب ينتهى أو يصمت للحظة؛ حتى يستطيع أن يتبين مصدر هذه الآهات المتقطعة التي كانت تصدر من مكان ما بين الحين والآخر.

أدرك أن عليه إشعار صاحب الآهات به حتى يتجاوب معه ويدله على مكانه، فأخذ ينادى بصوت عال فترة من الوقت، وحدث ما توقعه فلقد شعر به ذلك الإنسان وأصدر آهات أكبر وصرخ، وسمع مؤمن كلامه، وإن كان لا يفهمه إلا أنه استطاع تحديد الاتجاه الذى يأتى منه، على الفور قبض على سيفه وجدَّ السير حتى خرج إلى مكان خال من الأشجار العملاقة، سهل كالوادي الفسيح تملؤه الأعشاب والبرك، ونظر ليجد شخصاً ملقى على ظهره يثن ويتوجع، وله هيئة غريبة لم يرها مؤمن

من قبل فهرع إليه .

كان هذا الشخص عارياً إلا ما يستر عورته من
الريش الملون، ويربط حول رأسه رباطاً من جلد
الثعبان، وعلى وجهه عدة نقوش غريبة، وموشوم
ذراعه بوشم غريب، وكان لونه ينزع إلى السمرة
ووجهه قد ازداد شحوباً على شحوبه بسبب ما ألمّ
به، وبدا أنه مجروح وأن شيئاً ما كان يؤلمه .

اقترب منه مؤمن والسيف في يده، فلما رآه
الرجل انتفض رغم ألمه، وصاح به كأنه ينهره، وبدا
أنه قد ناصبه العداء، ولكن مؤمن أشفق عليه،
وابتعد قليلاً منه ثم أشار إليه بإشارات تشير
بالأمان، ولكن الرجل كان لا يقدر على الحركة
فاستسلم لمؤمن الذي أخذ يقترب منه ويفحصه .

مر النهار بطوله وقد انعقدت صداقة بين مؤمن
والشاب الهندي «رهمة» هكذا كان اسمه، بعدما

أدرك مؤمن أنه مصاب بكسر فى عظمة الساق، وبعض الشروخ فى عظام الذراعين، هذا غير السجحات والجروح الخفيفة فى الجسم كله.

فبعدما اطمأن «رهمة» لمؤمن، وأحس أنه غريب عن المكان أخذ يشير إليه بتعليمات الحياة فى المكان، والتى اتبعها مؤمن بحذافيرها، فاستطاع فى النهاية أن يصنع كوخاً بسيطاً جداً من أوراق شجر الموز الكبيرة.. وجذب إليه رهمة، وتمكن من إشعال النار بعد أن أعيته الحيلة فى العثور على خشب لم تبلة الأمطار، فأشار عليه رهمة أن يبحث عنه تحت الصخور البارزة أو تحت جذوع الأشجار المائلة، وتمكن من صنع جييرة من الخشب والبوص لساق رهمة، ثم قضى بقية الوقت فى تضميد جروحه حتى هجم الليل فكانت النار خير أنيس لهما، وأخذ رهمة يحاول تعليم مؤمن بالإشارات تارة وبالرسم

تارة لغتهم الهندية، ويشرح له ما الذى أصابه هذه الإصابات وكيف حدثت، وكانت عيناه تفضحان لمؤمن عن امتنان وشكر عميق لما قد بذله من جهد من أجله.

عرف مؤمن أن الشاب الهندى كان يتبع قطعاً من الخنازير البرية، وكان عليه أن يحضره لقبيلته التى كانت تستعد للهجرة من المكان إلى مكان آخر، ولكنه أثناء الصيد فاجأه قطع رهيب من الخنازير البرية فما كان منه إلا أن ألقى بنفسه تحت أقدامها قبل أن يلتهموه؛ فأصابه من القطيع ما أصابه، وكان على حالته هذه منذ يومين، ولما أشار عليه مؤمن بأن يخرج ليصيد له شيئاً يأكله، نهاه رهمة عن ذلك لأن الليل خطير جداً ولا صيد فيه ولا تجول. وفى الحال جلس مؤمن بنفس الطريقة شرح لرهمة أمر الجوهرة التى أتى من مصر لبحث

عنها فى أدغالهم، وكيف أنه سعيد لمقابلته لأنه سوف يؤنس وحدته ويدله على الطرق، ولكن كانت هناك نظرة حزينة فى عينى رهمة لم يعرف مؤمن تفسيرها، وكان يسأل نفسه: هل هى طبيعة وجهه؟ أم أن هناك شيئاً ما يحزنه ويزعجه؟!

وعرف مؤمن أن رهمه لن يستطيع الحركة لفترة طويلة، وأن عليه أن يخدمه حتى يشفى، كما عرف أن قبيلة رهمة افتقدته .. وكانت هذه فرصة كبيرة كى يتعلم فيها لغة هؤلاء القوم ويتعلم أيضاً كيف يواجه الحياة الشاقة فى الأدغال.

كما استطاع رهمة أن يفهم كثيراً من لغة مؤمن وكان كل منهما يتبارى مع الآخر فى الكلام بلغته الجديدة.

سأل رهمة مؤمن:

- ما الذى جعلك تفعل معى كل هذا؟

فابتسم مؤمن وقال:

- قال رسول الله ﷺ: «من لا يَرْحَمُ لا يُرَحَمُ»

فقال رهمة:

- لقد حدثتني كثيراً عن محمد ... إنه لرجل

عظيم .. وإن ربكم الذى أرسله كبير عظيم.

فقال له مؤمن:

- والله يا رهمة قلبى يحدثنى بأنك سوف تسلم،
وسيكون لك أمرٌ عظيمٌ فى قومك.

فلما ذكر مؤمن قوم رهمة وجدّه قد تغير وتجهّم
وتبدلت نظرته فلم يكمل حديثه.

ومرت أيام وأيام ومؤمن يتعلم من رهمة كيف
يعالجه، وتحسنت حالته بعض الشيء، وشفيت جراحه
كلها بهذه الأدوية التى كان يصنعها من أعشاب كان
يطلب من مؤمن أن يحضرها له إلا أن رجله قد
بقيت لها فترة أخرى حتى يستطيع السير بها.

و ذات يوم قرر مؤمن أن يزيد من رقعة تجواله فى الغابة حتى يمكنه صيد فريسة كبيرة، لأنه قد اشتاق للحم فلقد كانا طيلة هذا الوقت يتغذيان فقط بشمار جوز الهند المغذي، وكان رهمة دائماً ينهاه عن الخروج للصيد حتى يتعلم كيف يحتاط لكل الأمور، وفى ذلك اليوم كان بينهما حديث طويل قبل خروج مؤمن للصيد فحذر رهمة صديقه مؤمن قائلاً:

- ستأتى النهر لتصيد لنا سمكاً، ولا تحسب أن صيد السمك مسألة هينة أو أن الأخطار لا تحفها من كل ناحية؛ إن النمر كثيرة تستمتع بالاستحمام فى الماء، فقد يقابلك أحدهم فلن تقدر عليه مهما فعلت، وقد تستحسن كتلة من الخشب قد جرفها التيار فتريد أن تقف عليها للصيد؛ فباستطاعة هذه الكتلة الخشبية أن تدب فيها الحياة بسرعة مذهلة، ولتجد نفسك فوق تمساح قد قام بتعريض نفسه

للمرمل ليأخذ حماماً من أشعة الشمس فتثيره
 فيلتهمك؛ وكن حذراً من سمك البيراني.. إنه صغير
 الحجم وله فك يشبه فك الكلب المسعور مزود
 بأسنان كبيرة وفي مثل حدة الموس.. فقضمة
 واحدة من فكيه ستترع قطعة مستديرة من لحمك،
 وإذا حدث ذلك؛ فسيصاب السمك من رائحة دمك
 بنوع من الجنون والهوس ولسوف تتحول إلى هيكل
 عظمي في دقائق معدودة.



كان مؤمن يسمع كلام رهمة وهو فاغرٌ فاه من شدة وقع الكلام، وبدا عليه إعراضه عن فكرة الصيد، ولكن رهمة كان يكمل كلامه:

- ثم أن ثعبان الأناكوندا المارد هو من أكبر أنواع الثعابين فى الدنيا كلها، فلون جلده يميل إلى السواد المخضر وعلى كل جانب من فكيه يوجد صف من الأسنان القوية المقوسة، وهذا الثعبان خبيث سريع التحرش، ورغم أنه يعيش فى الماء إلا أنه يقبل بشراهة على فرائسه من الحيوانات التى تعيش على اليابسة.

وهنا قاطعه مؤمن قائلاً:

- كل هذا من أجل سميكات بسيطة سوف نتغذى بها هذا اليوم؟ آه لو وجدت جوهرتى فى إحداهن فأرجع إلى أمي؟

ضحك منه رهمة وطمأنه، ثم علمه كيف يتخذ من ديدان الأرض طعاماً ليصيد السمك، وسار مؤمن وحده حتى بلغ شاطئ النهر، ووقف يلقي بسنارته وهو يستشعر نهايته بين أي لحظة وأخرى.

ولم يكن هناك وقتٌ ينتظر فيه السمك أن يلتقط الطعام؟ حيث أن النهر كان يعج بالأسماك، فاستطاع أن يحرز سمكة كبيرة مع كل رمية له، ولاحت له من بعيد كتلة خشبية تتجه لترقد على الحافة الأخرى للنهر، فابتسم مؤمن وقد تأكد أنها تمساح كبير وحمد الله أنه بعيد عنه... ونظر في كيسه فإذا به حصيلة لا بأس بها فقرر أن يرجع إلى الكوخ ولكنه سمع بين الأشجار حركة غير طبيعية فنظر خلفه بسرعة فإذا من بين الأشجار يخرج شئ كالثور له قرنات وإن كان قصير القامة إلى حد كبير، ويبدو أنه ظن أن مؤمن عدو لدود ولذا فقد ناصبه العداء، وقرر أن يقضى

عليه، حمل مؤمن سيفه، ولكن الثور القزم اندفع بسرعة يهاجمه مثيراً التراب والهواء، ولم يكن لمؤمن حيلة غير ضربه بالسيف.. ولو أخطأه لمات طعناً بهذه القرون الحادة، وظن مؤمن بنفسه شراً، ولكن حدث أمر عجيب فلقد تحرك الثور إلى بقعة من الأرض، فالتصق بسائل مطاطي كان يغطيها وعبثاً حاول أن يخرج أرجله منها فلم يستطع، وزاد خواره وعلا صخبه، وأنهكت قوته محاولاً الفكاك من الغراء اللاصق فلم يقدر، وكانت هي الفرصة الوحيدة لمؤمن، فأمسك صخرة ورماها نحو الثور حتى يقترب منه دون أن يلتصق هو الآخر بالغراء العجيب، ثم وقف عليه وطوح ذراعه بالسيف الكبير، وبينما الثور فى لجأته كان السيف أمضى فى الإجهاز عليه، وبعد ذلك نسى مؤمن أمر السمك، وأحضر غصناً مجدولاً من النبات المتسلق، وربط الثور القزم، وجره

وراءه حتى رهمة الذى لم يصدق نفسه عندما رآه
وقال:

- ما بالك صديقى المصرى ... ؟ لقد انتظرت
أن تأتىنى بسمك فإذا بك تصيد ثوراً .. إنك لتلميذ
نجيب .

وحكى مؤمن قصة صيد الثور فضحك رهمة
وقال:

- إنك سعيد الحظ يا صديقى إن الثور قد وقع فى
مصيدة النمر .. لابد أن صياداً ما قد ترك هذا
الفخ الذى صنعه للنمر؛ فوقع فيه صاحبك الثور
الغنى .. مرحي .. إننى أتوق لللحم كثيراً .
وكان هذا اليوم سعيداً، وكانت الليلة أمسية
جميلة، قضياها فى قضم اللحم المشوى الذى
أعطاهما قوة وزادهما فى الشدة ، وجدد نشاطهما ،
وعجل شفاء رهمة الذى كان يود أن يستطيع المشى

حتى يلحق بقييلته .

ومرت عدة أيام كان فيها مؤمن قد ألم إلاماً كبيراً
بهذه الحياة، إلا أنه كان يعجب من إمكان عثوره
على جوهرة في هذه الأدغال المتوحشة ..

تمائل رهمة للشفاء تماماً ؛ واستطاع أن يخلع
الجبيرة وأن يسير على قدميه، إلا أنه كان يعرج
عرجاً خفيفاً لم يشبه رغم ذلك عن بدء رحلة البحث
عن القبيلة، ولا شك أن مؤمن لن يتركه حتى ينتهي
الامر، وبدأت الرحلة فاستعاد رهمة لياقته، وإن
كانت النظرة الغريبة في عينيه يخفى على مؤمن
تفسيرها .. وسارا يتضاحكان ويتحدثان طوال
الرحلة .. وكانا يخترقان مساحات وعرة من
الأدغال ، وذات مرة سأله مؤمن :

- على أى هدى تسير يا صديقي؟ ... هل



لديك خط سير القبيلة؟

نظر إليه رهمة ولم يتوقف عن السير، وقال وهو يلتفت يمينا ويسارا يتابع أى جديد يجد فوق الأشجار ووراءها:

- لكل قبيلة عاداتها فى الترحال والتجوال، وأنا أتبع آثارهم من خلال هذه الآثار التى يخلفونها فى كل مكان، وأعتقد أننا نسير فى الاتجاه الصحيح .. بعد قليل سيعترضنا النهر، ولن تبعد القبيلة عن النهر مسافة تزيد عن اليوم.

أخذا يتحدثان، وهما يسيران حتى لاح لهما النهر من بعيد كالشعرة البيضاء اللامعة فى اللوحة الداكنة الخضرة، والتى عكست خضرتها عليه فبدا لمعانه أشد وكان الأخضر يسيل على لوحته فى خط متعرج. ولما أصبحتا على مشارفه قال رهمة:

- المكان هنا ضحل .. ولن نحتاج لقارب حتى

ننجح فى عبور النهر ... هيا استعد فالحال على ما يرام تماماً.

شمر مؤمن سرواله ورفع حاجياته فوق رأسه كما فعل رهمة، وهمَّ معه بنزول ماء النهر إلا أن رهمة صرخ فيه صرخة حادة وجذبه خارج الماء بسرعة وهو يقول :

- ارجع يا مؤمن ... هناك خطر رهيب ... انظر يسارك .

لم يكن يتوقع أى منهما أن هذه الأعشاب المائية الخضراء تُتَوَّجَ ظهر تمساح كبير الحجم ويختفى أسفلها فى خبث ولؤم شديدين، فلقد استعد لاستقبال صيد ثمين بمجرد نزولهما للماء .. إنه يتحرك بسرعة مذهلة .

ونظر مؤمن نحو رهمة وكأنه يسأله عما ينوى فعله ... ووقف رهمة ويديه فى خصره ينظر

للتمساح ثم قال:

- لا بد أن نسير مسافة كبيرة حتى نبتعد عن هذا الوحش، ولا أضمن ألا نجد واحداً مثله في انتظارنا، ثم إننا سنبعد كثيراً عن خط السير، وسيستغرق وصولنا زمناً إضافياً لا لزوم له.
فقال له مؤمن:

- وماذا سنفعل حيال هذا الفك الرهيب؟ ...
هات الحل وبسرعة . أيا صلح هذا السيف؟
ابتسم رهمة وقال:

- يا عزيزي ... إن جلده أسمك من صفحة سيفك... ثم كيف ستنزل له .. هل تنوى مبارزته؟ لا ... هيا معي نجمع بعض الغاب من البامبو .. هل لديك قطعة إضافية من لحم الثور؟
كان مؤمن يتساءل عما ينوى رهمة فعله .. ولكنه أخرج قطعة لحم من الكيس، وأحضر رهمة

عوداً من غاب البامبو الصلب، ثم أخرج خنجره، وأخذ يقطعه إلى شظايا حادة جداً، ثم شق قطعة اللحم شقاً صغيراً، وأخذ يحشوها بالشظايا حتى انتفخت منها، ووقف غير بعيد من الماء وألقى قطعة اللحم فوق طوف صغير صنعه من الألياف والأغصان الرقيقة، ودفعه إلى الماء، حتى إذا شم التمساح رائحة اللحم فتح فمه، وخرج بسرعة من تحت النباتات المائية وابتلع اللحم في الحال، وعاد إلى مخبأه .. ثم لم يمض وقت طويل حتى أصابه الهياج، وأخذ يتلوى في الماء محدثاً ضجة وهرجلة عظيمة، فلقد كانت شظايا الغاب تمزق أمعائه ومعدته، ولم تمض دقائق حتىلقى نفسه على الشاطئ لا حراك به، واقترب منه مؤمن ورهمة.

ورغم موته إلا أن مؤمن كان يخشى منظره المرعب... وأما رهمة فلم يكن ليقف أمام جثة

تمساح أكثر من هذا، لقد هبط بسرعة للماء، ودعا مؤمن للتزول فعبرا النهر بسهولة، وجلسا على البر الثانى يتناولان بعض الطعام ويستريحان من عناء الرحلة الشاقة.

ثم أقبل الليل فقررا أن يبيتا ليلتهما، قام رهمة كالعادة بتأمين المكان، وناما نوماً هادئاً، ولكن مؤمن شعر بأن رهمة قد استيقظ من نومه مبكراً، ولما فتح عينيه أحس أنه يجلس أمامه، وهذه النظرة المربعة لا تتحول عنه وهوائيم، وبدا له أن رهمة يريد به شراً فقام من فوره فسلم عليه إلا أن رهمة كان يمد يديه نحوه، وبدت أسنانه أكثر رعباً، وشعر مؤمن أن رهمة يريد أن يفترسه، فانتفض من مكانه ورفع السيف فى وجه رهمة الذى نظر للسيف فلم يتقدم، ودهش مؤمن منه وهو يضع يديه على وجهه ثم يخر باكياً.

اقترب منه مؤمن وجثا على ركبتيه بجانبه وقال له :

- ما الذى جعلك تفعل ذلك ؟ ... ماذا أذنبت فى حقك حتى تنوى قتلى ؟ .. ما الذى جرى لك؟ ولماذا كرهتني؟!

فقال رهمة وهو ما زال يبكي :

- سامحنى يا صديقى .. سامحنى ... لم أكن أشعر بنفسي .. إنها رغبة متأصلة .. أنا حقاً مخطئ فى حقك لقد أنقذتني من الموت وساعدتني، ثم أقابل كل ما فعلته معي بالخيانة والغدر .. افعل بى ما تشاء .. هذا سيفك .. لقد كنت أريد قتلك .. وأنت الآن صاحب السيف والحق .. فاقطع رقبتى إن شئت .

فقال له مؤمن وهو ما زال على حذره :

- قال نبينا ﷺ «أربع من كن فيه، كان منافقاً

خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أوتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»، وها أنت يا رهمة قد غدرت بى وخنت أمانة الصداقة، لقد قال النبى - ﷺ - ولكل غادر لواء يوم القيامة، يقال هذه غدرة فلان»

فنظر إليه رهمة وقال متسائلاً :

-ماذا يعنى هذا الكلام؟

قال مؤمن :

- معناه أنك غير جدير بالصحبة ولا الصداقة وأنك منافق شديد الخطر، ولا ينبغي لمؤمن أن يصاحب منافقاً يكذب ويخون ويغدر ويفجر فى الخصام.. لماذا أردت قتلى إذن؟!

فأجهش رهمة فى البكاء وقال:

- يا ويلتى ... والله إنى لأحبك، ولكنى



سأعترف لك بكل الأمر ويحدث ما يحدث...
 اعلم يا صديقي أننا قوم نأكل لحم البشر ونحبه،
 وقد أصابنا من أكله نهم كبير، فنحن لا ندفن
 موتانا، وإنما نشويهم ثم نأكلهم، وإذا صادفنا في
 طريقنا غريباً عنا فلا غنى عن صيده كما نصيد
 الحيوانات، وأنا كنت أقاوم نفسي عنك مقاومة
 شديدة.. أنت أبيض البشرة وهذا ما أسال لعابي،
 ولكني الآن ندمت واعترفت لك بالأمر كله...
 فافعل ما تراه الصواب، ولك أن تقتلني إن شئت.
 . كاد مؤمن أن يقع من الدهشة والتعجب، فلقد
 اهتز لكلمات رحمة، وأدرك أنه أمام واحد من أكلى
 لحوم البشر، فحدثته نفسه بأن يقتله ولكنه أبى ذلك
 وسأله:

- ألهذا كانت لك نظرات مريبة يا رحمة؟! ولهذا
 كنت تريدني أن أذهب معك إلى قبيلتك؟

تمرغ رهمة في التراب وهو يتوجع ويتأوه من الندم،
فما كان من مؤمن إلا أن ضمه إلى صدره وقال:

- إن الله عفو يحب العفو يا رهمة، وإنه من عفا
عند المقدرة عفا الله عنه يوم العسرة، وما عفا رجل
عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده بها عزاً يوم
القيامة، ثم أنه أفضل الأخلاق في الدنيا والآخرة:
تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن
ظلمك، ما بك يا رهمة؟! إنهن ثلاث من كُن فيه
آواه الله في كُفهِ ونشر عليه رحمته وأدخله جنته:
إذا أعطى شكر وإذا قدر غفر، وإذا غَضِبَ فتر.

لمعت عينا رهمة، ونظر كالمنبهر في عيني مؤمن
وقال له:

- من علمك كل هذه الأخلاق؟ ومن أنت؟ قل
لي؟

فقال مؤمن:

- إنه كلام رسولنا محمد ﷺ .. علمه إياه شديد القوي، ربنا الواحد الأحد، ونحن أمة الإسلام وهذه هي أخلاقنا ..

وبينما هما يتحدثان سمعا حركة خفيفة بين الأعشاب وظهر على الأرض جيشٌ من النمل يتحرك، فابتسم رهمة وقال:

- انظر إنه نمل يسير كالجيش.

نظر مؤمن للنمل الذي بدا كفرقة حربية تتحرك في نظام عسكري، وله قواد يقفون في مراكز، وعلى أبعاد منتظمة مثل ضباط الجيش وكأنهم يصدرون الأوامر. وتسير الصفوف بنظام ومحاذاة دقيقة فقال مؤمن:

- إن في القرآن سورة سُميت باسم النمل، واذكر أن نبي الله سليمان الذي كان يعرف لغة الطير والحيوان والجن وسائر المخلوقات بفضل الله .. قد

سمع حديث غملة، ولقد جاءت في القرآن آية بذلك فقال رهمة بشغف: -ماذا قالت هذه الآية يا سيدي..

قال مؤمن: قال تعالى :

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ
(١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)
فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١) فابتسم رهمة ابتسامة
هادئة، وكان النور قد غزا جبهته وقال:

- الله ... الله ... أهذا كلام الله؟ ...

مؤمن ... أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده

١- [النمل: ١٧ - ١٩].

ورسوله .. أشهدك يا صديقى بأننى قد تبت إليه
ورجعت عن ذنوبي . خذنى أنت معك لنبتعد عن
القبيلة .

فرح مؤمن فرحاً عظيماً ولم يملك نفسه فأخذ
يحتضن رهمة ويقبله ويقول:

- مرحى بعبد الله ... سأسميك من الآن
«رحمة» وليس رهمة ما رأيك يا رحمة؟

وقبل أن تتم الفرحة إذا بأصوات ضجة وإناس
يصيحون باسم رهمة ويقول أحدهم:

- رهمة ... رهمة ... لقد عثرنا عليه ...
لقد ذهب يصيد خنزيراً فاصطاد غلاماً أبيض .

وقبل أن يفر مؤمن ورهمة من المكان كانت العديد
من الحراب مسددة نحوهما من رجال سود الوجوه
على هيئة رهمة، ولكن ليس فى عيونهم أية رحمة،

وكان مؤمن فريسة نادرة.

وبمتهى الوحشية التى ميزت كل شئ فى الأدغال اقتيد مؤمن ورحمة إلى المعسكر الذى تقيم به القبيلة وهناك ربطوا مؤمن فى جذع شجرة، وأخذوا رهمة إلى خيمة رئيس القبيلة، ولم يدر مؤمن ما الذى دار بالداخل، وبينما هو كذلك أتاه رجلان ينظران إليه والفرحة فى أعينهما، وظنا أنه لن يفهم لغتهم فقال أحدهما للآخر:

- أين عثر هذا الرهمة على هذه الفريسة اللذيذة؟

فقال الآخر:

- ولا شك أن الرئيس سوف يأمر بعمل احتفال جميل، وتلتف كل القبيلة حول الصيد اللذيذ الأبيض وهو يشوى على النار... ستكون أمسية رائعة.

ولم يمض وقت طويل حتى كان رهمة مقيداً إلى

شجرة أخري، وظلا هكذا إلى أن حل الليل فتجمع كل أفراد القبيلة. وأشعلوا ناراً كبيرة من أخشاب الشجر الجافة ثم علا صوت دقاتهم على الطبول المصنوعة من جلود الحيوانات ودخلوا رجالاً ونساءً يرقصون حول النار، وأدرك مؤمن أنها الطقوس الأولية لعملية الاحتفال، وأن هذا الاحتفال سيتوج بذبحه كالخراف، ثم سيجلسون في حفلة سمر إلى أن تنتهى مسألة شيه، وبعد ذلك يهتمون الحفل بتقسيم لحمه اللذيذ على كل أفراد القبيلة، وكانت صيحات الرجال والنساء تصم الأذان ودق الطبول يوحى بالموت، وضاق صدر مؤمن، وكاد أن يغشى عليه من الخوف، وحاول أن يتماسك فلم يقدر ونظر إلى رئيس القبيلة الذى كان يحاكى الفيل فى حجمه وهو يخرج من الخيمة الوحيدة فى القبيلة عندما اقترب منه ونظر إليه نظرة لا حياة فيها، ثم نظر

ناحية رهمة وقال ينهره:

- أهذا الذى ختتنا من أجله؟... إذا لن نأكل من لحمه.. وسوف أعذبك عذاباً عظيماً..

ولمع فى الظلام سيف حاد وزاد من لمعانه انعكاس شعاع النار عليه، واقترب حامله من مؤمن وهو يسير على إيقاع طبل لا يخالطه أى غناء أو أجراس.. وكان مؤمن يجالذ نفسه محاولاً التماسك، وأخذ يتلو الشهادتين بلسانه، ولكن صوت الطبل وإحساسه بالذبح، ونظرة العيون الشاحصة المتطلعة لمنظر الدماء، وبلادة وجه حامل السيف، وخلوه من الشفقة قد أصابه بالدوران والدوران.



وحاول الغلام أن يثبت الأشياء في عينيه إلا أن كل شئ أخذ يدور حوله بسرعة رهيبية، وأحس بثقل غريب في رأسه وأصبح صاحب السيف يتنفس في وجهه، وأحس ببرودة حد السيف على رقبته فغاب عن الوعي تماماً، وآخر ما سمعته أذناه هذه الصيحات والصراخ الذي توقع حدوثها من القوم بعد أن يشاهدوا رقبته وهي تسقط برأسه على الأرض.

أحس مؤمن بعطش شديد، ولم يفتح جفنيه.. بل تساءل هل هو الآن في الآخرة؟! عندما شعر بلسعة خفيفة في قفاه، اتجه لصوت يناديه، وهنا شعر بأن له جفنين عليه أن يحركهما لأعلى حتى يري، ولما فعل نظر فإذا النهار طالع، وإذا هو كما هو مقيد إلى جذع شجرة، ورحمة مقيد إلى شجرته



وينادى عليه وإذا المكان خال من كل الناس الذين كانوا ينوون ذبحه بالليل، ونظر نحو رحمة الذى قال له بعد أن رآه يتحرك:

- مؤمن ... سيدى الطيب ... هل أنت بخير؟!

لم يصدق مؤمن أنه ما زال حياً، وأنه ورحمة لم يصييهما سوء، ففسى العطش وألم القيد وقال لرحمة:

- أحقاً نجونا يا رحمة؟! .. أين القبيلة؟ .. وما الذى حدث؟! أنا لم أدر شيئاً بعد أن أتى إليّ حامل السيف.

فقاطعه رحمة:

- قبل ذلك .. علينا أن نحل هذه القيود قبل أن يعودوا إلينا، وبعد ذلك سأقص عليك ما جرى، اسمعنى أنت مربوط فى جذع شجرة قد غرسوه فى

الطين. . . أما أنا فمقيد إلى شجرة قوية . . . هيا حاول أن تستجمع قوتك لتتزع هذا الجذع من الأرض. نظر مؤمن أسفل منه فأدرك صواب رحمة، فأخذ يقاوم ثبات الجذع فى الأرض، ويهزه بظهره ويدفع الأرض برجليه إلى أن تمكن من تحريكه من مكانه، وبدفعة قوية استطاع أن ينزع الجذع من الأرض، وسقط به على الأرض، وتمكن بسهولة من الخروج بالقييد منه، ثم حل وثاقه وجرى نحو رحمة وحل قيده ثم دخلا معاً خيمة الرئيس فأخذ مؤمن سيفه، وأخذ رحمة الحربة، وجرىا يبتعدان عن المعسكر بكل ما لديهما من قوة فغابا داخل الأدغال، وبين كومة من أوراق الموز جلسا يلهثان حتى التقطا أنفاسهما، فقام رحمة وأحضر بعض ثمار جوز الهند وأخذا يتناولانه، وحكى رحمة ماقد حدث أثناء حفل القبيلة بالشواء فقال:

- عندما رأيت حامل السيف يخرج من خيمة
رئيس القبيلة أدركت أن نهايتك قد حانت فأصابتنى
الشفقة عليك، ولكنى لم أكن أملك لك إلا الدعاء
لله فناجيته وقلت اللهم إن هذا عبدك قد هاجر فى
سبيلك ليس له هم سوى إعلاء كلمتك .. إنه لم
يجر وراء مال أو امرأة.. بل إن عبدك قد هدانى إلى
سبيلك فإن كان له مكانة عندك يا رب.. فأغشه
وأنقذه... اللهم الغوث اللهم الغوث اللهم النجدة
ولم أتم كلماتى والسياف يذبحك فأغمرى عليك، إذا
بصارخ يصرخ من أعلى شجرة يقول «الأفيال..
الأفيال» ولم يتم صراخه حتى هجمت دبذبات أقدام
قطيع رهيب من الفيلة كان يتجه نحونا بسرعة تفوق
سرعة مياه النهر أثناء الفيضان .. وفى الحال فر
جميع أفراد القبيلة من المكان تماماً، لم تمر دقائق
حتى ظننت أننا سنسوى بالأرض تحت أقدام الفيلة

وكاد قلبي أن يتوقف والقطيع يخترق الساحة التي كنا فيها، وأخذت أبتهل إلى الله، وتذكرت كلامك الذي كنت تقوله عندما هاجمنا التمساح فنجونا به وأخذت أقول «يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث فأغثنا» ولم أصدق نفسى عندما كانت الفيلة رغم هديرها تتجنب أن تصطدم بنا فأخذت أكبر الله وأقول «الله أكبر الله أكبر»، ومرت ساعة والقطيع يجرى لا ينقطع.. وكاد يخنقنى الغبار حتى مر آخرها وأنت لا تدري أى شئ.

وأول ما قاله مؤمن بعد كلام رحمة:

-الحمد لله .. الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .. الحمد لله.

ولم تكن هناك فرصة للراحة من المفاجآت فلقد سمعا صوت حفيف بين الأشجار، ونظر مؤمن فإذا به يرى الرماح من أطرافها وهى تسعى بين الحشائش

فأدرك أن هناك من يبحث عنهما فهمس لرحمة قائلاً:

- انظر يا رحمة ... هناك ... أطراف الرماح.
وشهق رحمة شهقة عالية وقال بحذر وخوف:
- إنهم قبيلة الفيل .. إنهم ألد أعداء قبيلتنا ..
علينا بالفرار .. لو قبضوا علينا فلسوف ننتهى تماماً.
قام مؤمن ورحمة يتحسنان ليتعدا عن المكان
ويبدو أن أفراد قبيلة الفيل قد شعروا بهما فحدثت
المطاردة.

كان مؤمن يجرى بكل ما لديه من قوة، ولم يكن
يفرقه عن رفيقه سوى تجمعات الأشجار الضخمة
وتكتلات الأغصان والأوراق، وبينما هما كذلك
افتقد مؤمن صديقه فلم يعد يراه، ونظر خلفه فإذا
الرماح تهرع وراءه بسرعة فأدرك أن رحمة قد سلك
طريقاً آخر، ولم يكن يتوقع أبداً أن صفاً من أفراد

القبيلة سيقابله فى المواجهة، وهكذا التفوا حوله وقبضوا عليه فأحس أنها النهاية هذه المرة.

ولم يكن هناك أى أثر لرحمة.. وتم إيداع مؤمن مكاناً يختلف عن سابقه فيها هو يرى بيتاً طويلاً من غاب البامبو محمولاً على أعمدة وله سقف من القش، وعليه تعلق السيوف والرماح والمزاريق، وسياجاً آخر مستطيل الشكل كحظيرة الماشية، ورأى النساء والأطفال يجوبون وادياً منتظم الشكل من حيث أنواع الزرع والحدائق وخلافه، وأحس أنه فى مكان متحضر بعض الشيء.. وما هى إلا دقائق وهو مقيد إلى شجرة إذ لمح أفراد القبيلة يأتون من أعلى الوادى وهم يثيرون الغبار بخيولهم، وصرخاتهم وصيحاتهم وهز الرماح فى أيديهم تشير إلى فرحتهم الغامرة... حتى إذا قدموا إلى السكن نزلوا عن خيولهم، ولم يهتموا بأمره على الإطلاق.. كل

ماكان يهمهم أن يرقصوا ويتعانقوا فأدرك مؤمن أن حدثاً سعيداً قد حل بالقبيلة، فاطمأن إلى أنهم قد يغفلون عنه بعض الشيء حتى يستطيع رحمة أن يفعل له أى شئ ينقذه من الأسر.

وود مؤمن لو أنهم اقتربوا منه حتى يعرف ما الذى يفرحهم.. فكل ما وصل إلى إذنيه كلمة «الأفيال.. الأفيال»

ولم يلبث الأمر كثيراً فلقد انتظم أفراد القبيلة فى جماعات وحمل كل فرد بلطة كبيرة، وذهبت مجموعات أخرى بالحبال إلى اتجاه اليمين وفجأة أصبحت القبيلة فى حركة شديدة كل فرد يصنع شيئاً وبدأ أنهم فى شغل تام.

واقترب رجل من مؤمن وكان يصاحب امرأته فسأله:

- أين عثرتم على هذا الغريب الأبيض؟

فقال لها:

- لقد عثرنا عليه ونحن نستطلع أمر الفيلة، لقد كان بصحبة رجل من أكلى اللحوم الآدمية.
فشهقت السيدة وقالت:

- لا بد أنه كان ينوى أكله ... أو أن هذا الغريب له نفس الطباع وهو أيضاً من أكلى لحوم البشر.
فقال لها وهو ينظر لمؤمن:

- لا نعرف حتى الآن... المهم أن لحظة قبضنا عليه بالتحديد لاحت بشائر الفيلة. إنه فال حسن.
نظرت السيدة فى وجه مؤمن وقالت:

- إن وجهه لجميل وكأنه يشع نوراً ... ألا يكون هو النسر الأبيض الذى حدثنا عنه الكاهن كثيراً.
تبلدت ملامح الرجل وهو ينظر لمؤمن ثم انقبضت فانبسطت ثم ابتسم وقال:

- لو كان ذلك حقاً فسوف يصيبنا خير كثير...

إذا نجح الرجال فى صيد الفيلة فسيتم الأمر كله .

فقالت السيدة متسائلة :

- من أين ستأتى الأفيال؟

فأشار الرجل إلى اتجاه الشمال، وهنا صرخ مؤمن

الذى كان يفهم حوارهما وقال للرجل :

- لا ... بل ستأتى من الشرق يا سيدي .

انتفض الرجل وزوجته، وكانا يظنان أنه لا

يتحدث بلغتهم، ولم ينتظر الرجل كى يتحقق من

الأمر، فسأله على الفور :

- هل أنت متأكد؟ ... افصح .. كيف عرفت

ذلك؟!

فقال مؤمن وقد أحس ببعض الارتياح :

- سيدى لقد مرت عليّ الأفيال بالأمس، وأنا

أعرف اتجاه سيرها .. ولو أخطأت فاقتلني .

أدرك الرجل أن مؤمن لن يغامر بحياته من أجل

كذبة لن تنفعه، فوقف ينادى فى الرجال:
 - أيها الرجال ... أيها الرجال... النسر
 الأبيض يقول لكم إن الأفيال ستأتى من جهة
 الشرق... هيا انصبوا المصيدة إلى اتجاه الشرق.
 وقف الرجال ينظرون لمؤمن نظرة ملؤها الخشوع،
 ثم استداروا يهرعون نحو عملهم، وأدرك مؤمن أنه
 كان يخاطب رئيس القبيلة الذى لم يكن مميزاً عن
 بقية الرجال بأى تمييز، فأحس أنه بين رجال بسطاء
 لا فرق بينهم فى المظهر، وبعد قليل هرع راکب
 الأشجار وهو المراقب الذى يقف فوق أعلى شجرة
 ليراقب اقتراب الفيلة واتجاههم... كان يلهث حتى إذا
 وافى رئيس القبيلة قال له: - سيدى ... إنها لم
 تأت من الشمال كما كنا نعتقد... إنها تقترب من
 ناحية الشرق.

نظر الرئيس إلى مؤمن نظرة ملؤها الإعجاب

والخشوع ونادى بعض الرجال وقال لهم:
- فكروا وثاق النسر الأبيض ... واحضروا له
واجب الضيافة وأعدوا له كوخاً بعد الصيد.
ولكن مؤمن قال بعد أن أحس بالنجاة من
الموت:

- سيدى الرئيس .. هل أعاونكم فى هذا الصيد
الكبير إن نفسى تتوق لذلك؟

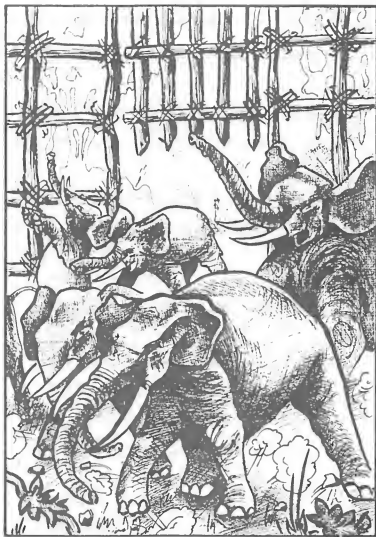
كان القطيع يجرى من اتجاه الشرق بسرعة عظيمة
فى أعداد هائلة .. فكان إيقاع هذا القطيع المتوحش
فى فخ محكم شئ مروع وخطير .. لقد كان الرجال
يسحبون مجموعة من الأشجار الطويلة إلى المكان
المحدد، وأخذوا يفرسون الأشجار فى الأرض على
أعماق بعيدة بكل ما لديهم من قوة وسرعة، حتى
صنعوا دائرة واسعة من الخشب لها جناحان ومفتوحة
من الاتجاه الذى ستأتى منه الأفيال، وأخذوا يربطون

الأشجار ببعضها بحبال من الخيزران فى قوة الأسلاك الحديدية، فبدت المصيدة وكأنها جزء من الأدغال. حتى إذا أتموا صنع البوابة وتم تعليقها بين الأشجار، هرع الرجال فتفرقوا على جانبي الطريق الذى يتوقع أن تأتى منه الأفيال ومعهم الطبول الكبيرة، فلما اقتربت الأفيال أخذوا يقرعون الطبول وأحدثوا جلبة أصمت الأذان، فاندفعت الفيلة خوفاً من أصوات الطبول تسير فى اتجاه المصيدة وكان المشهد فى غاية الإثارة عندما اندفعت الأفيال تدخل المصيدة بنفسها، حتى إذا دخل آخر واحد منهم انهارت البوابة الضخمة ثم أحكم إغلاقها، ولم يكن دور مؤمن فى هذا العمل سوى أنه قطع حبل البوابة لتسقط مغلقة فتحة المصيدة.

وعلى الفور أخذ الرجال يقطعون بعض أعواد أشجار المصيدة ويسحبون الفيلة الصغيرة حتى لا

تموت تحت أقدام الأفيال الكبار. ولما اطمأن القوم
لنجاح عملهم أخذوا يبتهجون ويرقصون، وحمل
أحدهم مؤمن على عنقه وعادوا إلى موقع الفيلة
وظلوا هكذا حتى الليل فأشعلوا النار، وأحضر
الصيادون ما لذ وطاب من الصيد ليشوى ويأكلوا
منه.





وجاء رئيس القبيلة ومعه الكاهن فقال الرئيس
لمؤمن:

- أقدم لك كاهن القبيلة الذى حدثنا عنك قبل أن
تأتى بزمان بعيد.. دعه يحدثك ويتحقق من ظنه
وظننا.

ونظر مؤمن للكاهن وكان الرجل رغم كبر سنه
يبدو عليه الذكاء الحاد وسعة الأفق فسلم عليه
مؤمن، ودعاه للحديث.

فقال الكاهن:

- كيف تدلنى أنك حقاً النسر الأبيض؟

فقال مؤمن:

- أنا لا أعرف ماذا تقصد... أنا اسمى مؤمن

.. فمن هو النسر الأبيض؟

فقال الكاهن:

- هو إنسان يأتى من بلاد النهر العظيم.. له

عقيدة نقية... أخلاقها حميدة، منبعها التقوى من الله.

فاندهش مؤمن وسأله:

- هل تعبدون الله يا سيدى الكاهن؟ هذا شئ طيب.

فقال الكاهن:

- لقد ورثت عن أجدادى أخباراً فى مخطوطات التوراة تقول أن هناك نبياً سيأتى فى آخر الزمان اسمه «محمد» بدين يسود الدنيا بإنسها وجنّها.. فهل حدث ذلك الآن.

أجابه مؤمن قائلاً:

- نعم... ألم يصلكم خبره حتى الآن؟! إنه محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

فقال له الكاهن:

- أصدقنى القول يا بنى... إن لى علامات

رأيتها في بعض الرؤى، حتى أتأكد فإذا أجبتني عنها
تكون أنت النسر الأبيض.

فقال مؤمن :

- الله المستعان يا سيدى الكاهن.. هات ما
عندك.

قال الكاهن:

- أولاً ... قل لى أمر ثلاث منجيات.

فقال مؤمن:

- فأما المنجيات فالعدل فى الغضب والرضا ،
وخشية الله فى السر والعلانية، والقصد فى الفقر
والغنى.

فابتسم الكاهن وقال:

- هذه الأولى أما الثانية؟: ما مكة؟ وكيف
الصفوف؟ .. و.. أين المصاحف؟ وكيف أن أمة
ثلاثة أثلاث؟

فقال مؤمن:

- أما مكة فيها البيت الحرام وفيها ولد محمد ﷺ وإليها الحج كل عام.. والصفوف هي الناس إذا قاموا للصلاة، والمصاحف في قلوب المسلمين محفوظة والثلاثة أثلاث فامة محمد.

ثلاث سيدخلون الجنة بغير حساب، وثلاث سيدخلون برحمة الله، وثلاث سيحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة.

فقال الكاهن:

- صدقت والله... إنه لنبأ عظيم... مرحباً بك أيها النسر الأبيض.

ثم التفت الكاهن لرئيس القبيلة وقال له:

- والآن أيها القائد.. أنت تعلم أن العلم كله عندي وأنا المعلم الحقيقي لكل أفراد القبيلة ولدى أخبار الأمم السابقة.

أشهدك وأشهد النسر الأبيض أننى مسلم وأنه لا
إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.. فماذا ترى
فى قومنا؟

فبش القائد لكلام الكاهن وقال:

- ما كان لى أن أعصى أمر الله... يا
رجال... يا أفراد قبيلة الأفيال.. أشهدكم أننى
مسلم وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...
فمن منكم يبايعنى على الإسلام؟
لم يتردد أحد، رجالاً ونساء فقالوا فى لسان
واحد: لا إله إلا الله محمد رسول الله... الله
أكبر والله الحمد .

كانت هذه الأيام التى عاشها مؤمن فى قبيلة
الأفيال مزيجاً من العلم والمتعة والخبرة والبحث،
فلقد أنشأ حلقات لحفظ القرآن، وتعليم اللغة
العربية، وإعطاء الدروس فى الحديث وفقه العبادات

والسيرة النبوية، وحظى بمكانة كبيرة عند رئيس القبيلة، فتعلموا منه الصلاة والصيام وأقاموا شرع الله، فانتسعت رقعة الخير وانتظم أمرهم، ووجدوا فى الشريعة الإسلامية دواء لكل ما كان يصادفهم من مشاكل فتعلموا الطهارة والنظافة، وبدلاً من البيت الواحد الذى كان يضم كل أفراد القبيلة... قسموه من الداخل لغرفات فأدركوا نعمة الحياء والخصوصية، وبدأت حياتهم مختلفة عما كان من قبل.

وذاث يوم دار الحديث عن رحمة الذى اختفى فى المطاردة وشرح مؤمن أمره لرئيس القبيلة فقال:
- أخشى أن يقع هذا العبد المسلم فى أيدي هؤلاء الكفرة. لابد أن نتنسم أخباره .
وأرسل القائد جواسيساً يجوبون الأنحاء ليجثوا عن رحمة.. فعاد آخرهم يقول:

- إننى هبطت لمكان القبيلة المتوحشة .. فعثرت على معسكرهم ... وإن الرجل الذى أعطيت أوصافه كان مقيداً إلى صليب، وكل من يمر به كان يشتمه ويصق عليه ، والأطفال يرمونه بالقاذورات .
لم يطق رئيس القبيلة هذا الحال وثارت ثائرتة ونظر لرأى مؤمن الذى قال :

- سيدى الرئيس ... علينا أن ننذر هذه القبيلة ونحذرهم من بأسنا وقوتنا ونطلب منهم أن يردوا علينا رحمة .. فإن فعلوا فهم فى أمن منا، وإذا لم يفعلوا أعلننا عليهم الحرب ... إن الله يأبى ذلك .
وعلى الفور قامت مجموعة من الرجال الأقوياء بالخروج إليهم ومعهم رسالة مؤمن وعليهم أسلحتهم وعتادهم كاملاً حتى إذا بلغوا مكانهم كادوا أن يلتحموا فى حرب مع الأوباش، إلا أنهم بينوا لهم سبب الحضور .

فلما أدخلوا على رئيس القبيلة عرضوا عليه الأمر
فثار غاضباً وقال لهم:

يصعب عليّ أن أترككم تذهبون وأنتم صيد
ثمين، ولكن سأدعكم لتخبروا قائدكم.. إننا
أصحاب البأس والقوة فلتكن الحرب التي تزعمون،
إنما هي بالنسبة لنا رحلة صيد وسيكون الشواء في
هذا اليوم كثيراً.. قولوا له ألا ينسى أننا لا نخاف
شيئاً.. بل أننا نأكل لحم البشر ونشرب دمه.

. عادت الرسل بما كان من أمر قائد الأوباش فما
كان من قائد الأفيال إلا أن أمر بانعقاد مجلس
الحرب.

. وفي هذا المجلس كان هو و الكاهن ومؤمن وكبار
رجال القبيلة وخيرة شبابها وتشاوروا فيما بينهم فكان
قرارهم «الحرب»

ومن ناحية أخرى كان الأوباش يتجهزون للحرب

ويجمعون رجالهم من المصائد، وأخذ كل فريق يجهز كميات كبيرة من السم الزعاف الذي يتم منه دهان أطراف الأسهم والرماح حتى يكون أثرها قاتلاً في الحال، وأصبح كلا المعسكرين متأهباً للقتال، وكل منهما ينتظر أن يخرج الثانى ويأتى إليه، وظلا هكذا كثيراً حتى قال مؤمن للرئيس والكاهن:

.. يا سيدى الرئيس.. ألن تغير رأيك.. وتدعنا نخرج إليهم.. قبل أن يداهمونا هنا؟

فنظر إليه الرئيس وقال:

- أيها النسر الأبيض.. أنت لا تدري ما هى حروب الأدغال... إننا كما نصبنا لهم الفخاخ والمصايد حتى يقعوا بها.. هم أيضاً قد جهزوا لنا مثلها ولو خرجنا لهم لا نعلم ماذا يصيبنا.

فقال الكاهن:

إن كلام النسر الأبيض صحيح أيها الرئيس.. لقد

أعلننا نحن الحرب، وعلينا ألا ننتظر أكثر من هذا ..
ثم لا ننسى أن الله معنا وسيؤيدنا بجنوده... ثم إن
رجالنا قد تجسسوا وعرفوا أكثر فخاخهم وعلينا أن
نخرج لتأديبهم ونداهمهم من خلفهم فهم لا
يتوقعون منا ذلك.

فقال مؤمن:

لا يهم يا سيدى الرئيس ... لا بد أن تكون
المبادأة منا نحن... ماذا قلت؟

فقال القائد:

- فلتكن مشيئة الله ... يا كبير الجيش .. جهز
الجنود للخروج مع بداية الفجر.. والله معنا .
فقام مؤمن ممسكاً سيفه وقال للقائد:

- لا بد أنهم الآن قد خرجوا من أكواخهم، ولم
يتركوا فيها غير النساء والأطفال والشيوخ .. أنا
سأنتهز الفرصة وسأسبقكم إلى هناك، فأحرر رحمة

من الأسرعندما تكونون قد شاغلتموهم بالحرب .
 وافق القائد على فكرة مؤمن، وفي الفجر خرج
 الجميع من المعسكر وقد تركوا حامية صغيرة للدفاع
 عن النساء والشيخوخ إذا لزم الأمر ، ولما ساروا هذه
 المسافة الدائرية؛ ليداهموا العدو من خلفه إستأذن
 مؤمن القائد فأذن له ، وخرج في اتجاه معسكر
 الأوباش أكلى لحوم البشر، وقبل أن يقترب من المكان
 أحس بحركة غير طبيعية تنبعث من هناك، فاقرب
 على حذر ولما دنا نظر فكاد أن يتوقف قلبه من
 الهلع .

رأى الحامية التي تدافع عن القرية وهي تصارع
 باستماتة عصابة من النمر المتوحشة قد هاجمتها .
 كانوا أكثر من ثلاثة غور، أما النساء والأطفال فلقد
 كانوا يصرخون من خلف الأكواخ الرقيقة، والنمر
 تهجم بشراسة . ونظر فإذا رحمة مصلوب إلى

الشجرة، فاستل مؤمن سيفه وجرى أول ما جرى نحو رحمة فقطع عنه الحبال، وأعطاه سيفاً ورمحاً فانضمّا إلى النفر القليل من شيوخ القبيلة وأخذوا يصارعون النمر التي كانت في منتهى الشراسة، فأخذ رحمة بخبرته يرميها بالرماح ومؤمن يستخدم رشاقته العجيبة في القفز والطعن، فاستطاع أن يطعن أحد النمر طعنة قاتلة وانضم لرحمة فنجحاً في قتل النمر الثاني،

ثم انضمّا إلى أحد الشيوخ الذي كان عرضه للافتراس من النمر الثالث، فألقى مؤمن بالسيف وحمل حربة سامة ودفعها في بطن النمر فأرداه في الحال، وكان النمر الرابع يسحب طفلاً من ملابسة ويجري به نحو الأحراش، فجري مؤمن خلفه وبسرعة تعلق بالنباتات المتسلقة وقفز بها قفزة رائعة ليصبح أمام النمر الذي كان على وشك افتراس

الطفل، فلما رأى مؤمن، ألقى الطفل من فمه واستعد للنزال، ولكن مؤمن لم يمهله؛ فلقد أمسك السيف من حده ودفعه كالريح ليرشق في حلق النمر ويخرج النصل من رقبته، فخر النمر صريعاً، وجرى مؤمن نحو الطفل فوجده حياً لم يمسه سوء وقبل أن يحمله رأى النسوة والأطفال يجرون نحوه وهم يصرخون فلما رأوه أمسك به والطفل يبكي التفوا حول مؤمن يعانقونه ويقبلونه، وعادوا إلى القرية فقال كبير الشيوخ بالقبيلة: والله لا تكون هناك حرب أبداً بيننا وبينكم .. تعاليا معي إلى ميدان الحرب.

ومن ناحية أخرى كانت طبول الحرب تدق في الميدان، والفريقان على وشك الالتحام.
ووقف قائد المسلمين يقول للكاهن:

- لقد جئناهم من حيث لا يحسبون ولا يحتسبون... هكذا الحرب خدعة ... إن كل

مصائدهم وفخاخهم لا لزوم لها الآن.
فقال الكاهن:

- شئ ما يحدثني أن النسر الأبيض فى
خطر... لقد تأخر كثيراً... أليس كذلك؟
وفى معسكر الأوباش كان الأمر مختلفاً فها هو
القائد يحدث كبير الجند فقال:

- أترى ما وضعنا فيه من مأزق يا كبير الجند؟ ها
هم قد غافلونا وداروا خلفنا.
فابتسم كبير والجند وقال:

- لا يهم يا سيدي... إنهم قد وضعوا أنفسهم
فى مأزق لن يحسدوا عليه.
قال القائد:

- وكيف ذلك؟

قال كبير الجند:

- ستناوشهم بالقلب فقط ونترك الميمنة والميسرة

بلا هجوم فى الخفاء بين الأشجار، حتى إذا تقهقر القلب واستدرجهم إلى هنا ينقسم القلب لجزئين ينضم كل جزء إلى الميمنة والميسرة... عندما تتحركان فى الحال لتطويق جيشهم من الخلف ثم نضغط عليهم فنكون نحن من أمامهم والمصائد من خلفهم... ماذا قلت يا سيدى القائد؟

ضحك الرئيس ضحكة كبيرة وقال بغرور:

- إنك لداهية... سأمنحك ربع جيشهم فتشوى منهم ما تشاء.. ها .. ها ... ها .

علت الرايات الحمراء، وبرزت القوتان لبعضهما وأمسك صاحب البوق بشفتيه على بوقه وهمّ بالنفخ لتبدأ الحرب؛ وإذا بمؤمن والشيخ ورحمة يظهران فى منتصف الطريق...

وقال قائد الأوباش لكبير الجند:

- ما هذا ؟ !... إن شيوخ القرية يصحبون

الغلام الأبيض ويأتون إلينا... هل حدث شيء للنساء والأطفال؟!

واقترب كبير الشيوخ نحو رئيس الأوباش ومعه مؤمن، واندفع قائد المسلمين فانضم إليهم وسمع الشيخ يقول للقائد:

- اسمع أيها القائد... لا حرب مع هؤلاء القوم... إنهم أحسن الخلق أتعرف ماذا فعلوا...؟ اقتربت الجنود ليسمعوا فقال الشيخ:

- لقد هاجمت النمر القرية، وأنتم هنا لا تدرون شيئاً.

فثارت ثائرة الجند وهموا بالصياح والاندفاع نحو القرية لإنقاذ الموقف وقتل النمر ولكنه قال لهم بسرعة:

- هذا الغلام الأبيض الذي كنا سنشويه يوماً ما ومعه رهمة الذي طالما عذبناه وأهناه، لقد أنقذا

القرية وقتلا كل النمر... والله إن هذا الغلام قد
أخرج الطفل من فم النمر وقتله. فهل نحاربهم؟...
أهذه الأخلاق تحارب يا قوم؟

فعلا صوت الجند :

... لا ... لا ... لا .

فنزلت عبرة من عين قائدهم، ثم احتضن مؤمن
وبعده تعانق مع قائد المسلمين فأنزلت الرايات الحمراء
واقترب الجيشان من بعضهما ورفعتا الراية البيضاء.
وفى الخلاء حدثت المعجزة فيها هي قبيلة أكلى لحوم
البشر بكاملها تندم وتتوب وترجع، والكل بايع مؤمن
على الإسلام وتوحيد الله، واتحدت القبيلتان فى قبيلة
واحدة، وعاد الجميع أسرة واحدة، وفى المساء أقيم
احتفالاً.. كبيراً يشهد الصلاة الجامعة؛ صلاة العشاء
لأول مرة فى برارى الأدغال.. وقام الكاهن فقدم
لمؤمن جوهرة غريبة الشكل وقال له.. هذه الجوهرة

ورثتها عن أجدادي.

هى هدية لك .. هيا ... فالقوم قد أعدوا مأدبة كبيرة من اللحم وما لذ وطاب . احتفالاً بك .. نظر مؤمن للجوهرة وهو سعيد، وعلم على الفور أنها جوهرة «العفو» وكيف أنه لو انتقم من رحمة يوم أن اكتشف محاولة قتله وأكله لما تحقق هذا الخير وقام فجلس بين القوم فقدم له طاهى القبيلة طبقاً به شئ يلمع من الدسم فنظر مؤمن وسال لعبه فقال للطاهي:

- أى طعام هذا ؟

فابتسم الطاهى وقال :

سيدى النسر الأبيض... هذه أطيب أكلة لدينا... إنه طبق النمل الأبيض المحمر مع يرقات الخنافس ويبيض السلاحف.

تمت بحمد الله تعالى

وإلى اللقاء مع مؤمن في..

جوهرة «الصقيع المظلم»

وإلي اللقاء مع ... جوهرة الصقيع المظلم «6»

يجب أن تتعلم كيف تعيش هناك ، وكيف تجد
الماء والطعام ، وكيف توقد النار ، ومن المهم جداً
الاستعداد لمواجهة أي طارئ ، إن الأدغال ليست
علي وئام مع الإنسان كن يقظاً .. تفحص الأرض
التي أمامك بكل عناية ، ونجنب التسرع .. وإياك
أن تحاول التقل في الأدغال ليلاً إن الحياة هناك
شبه مستحيلة ... تري ماذا فعل مؤمن في الأدغال
هل اتبع هذه النصائح ..

مع تحيات
دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

تمتّع مع مؤمن في :

- ١- جوهرة الكهف المسحور .
- ٢- جوهرة البحر السابع .
- ٣- جوهرة البركان الأحمر .
- ٤- جوهرة مملكة الموتى .
- ٥- جوهرة الأدغال المتوحشة .
- ٦- جوهرة الصقيع المظلم .
- ٧- جوهرة البريق الغامض .
- ٨- جوهرة المدينة المتحجرة .
- ٩- جوهرة ميناء المذبح .
- ١٠- جوهرة الرمال الملتهبة .

مع تحيات

دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع